الفصل الرابع

عالم المخلوقات الخفية
بين التوراة والقرآن
الملائكة. الجن. إبليس. الشيطان

obeikandl.com

obeikandl.com

يأخذ عالم الغيبيات حيزاً واسعاً في الكتب السماوية والديانات جميعها. وبنظرة إجمالية، فإن العقائد لدى كثير من الشعوب تُعيد عالم الغيبيات إلى صنفين يمثلان الخير والشر، وأساس هذا التصور قديم قدم الإنسان، إذ هو يقوم على الصراع بين قوى تمثل الخير وقوى تمثل الشر.

وتتضح صورة هذا الصراع بشكل أوسع في العقائد الثلاث اليهودية المسيحية والإسلام إذ أصبح فيها تصنيف واضح، فالملائكة تمثل جانب الخير في عالم الوجود الغيبي. والشيطان أو إبليس يمثل جانب الشر بكل أبعاده النفسية والدينية.

غير أن القرآن الكريم أوضح كثيراً من طبيعة هذه المخلوقات ومهماتها. وكذلك فقد حوت نصوص التوراة كثيراً من الأحاديث عن هذه المخلوقات.

ويعتبر الإيمان بالملائكة جزءاً من العقيدة الإسلامية إذ أن العقيدة تربط بين الإيمان بالله وبرسله وبملائكته وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وقد تلاقت نصوص القرآن مع نصوص التوراة في الحديث عن بعض المواقف الواقعية والأحداث، وما للملائكة من دور فيها. ولكنها اختلفت فيما بينها في كثير من الصفات والمهمات أيضاً. إضافة لما ورد في العقيدة اليهودية من ميل إلى تقديس إبليس ومن عداء للملاك جبريل.

وقد اختلط على كتبة التوراة أو هم خلطوا بين عمل الله سبحانه وعمل الملائكة والجن. فنسبوا أعمال الله إلى إبليس تارة ونسبوا أعمال إبليس إلى الله تارة أخرى. وقد ورد ذلك في عدد من نصوص التوراة. ولا يأخذ الجن حيزاً واسعاً في التوراة كما هو في القرآن الكريم. بل إننا نجد أن التوراة تتحدث أحياناً عن استعانة بعض ملوك بني إسرائيل بالجن أو بالعرافات والعرافين الذين يدعون أن الجن يخدمهم، وينفذ أوامرهم.

وفي عدد من نصوص التوراة نعثر على ما يسمى الكروبيم وهي جمع لكلمة كروب، ويمثلون لهذه المخلوقات بأجسام لها أجنحة وأشكال غريبة. وقد

يرمزون بها إلى قوى قد تكون من الملائكة أو من غيرها.

ويمكن لنا أن نرتكز في ذلك على عدة أمور، يمكن أن نعتبرها مفتاح المقارنة والدراسة.

أ ـ الملائكة وأصنافهم ومهماتهم

ب ـ إبليس أو الشيطان. طبيعته ومهامه

ت ـ الجن

ث ـ الكروبيم والتجسيد

ج ـ اختلاط أعمال هذه القوى المخلوقة بأعمال الله في التوراة.

عالم الملائكة

من خلال ما تعلمناه من القرآن الكريم نرى أن عناصر المخلوقات العاقلة ثلاثة أنواع: الإنسان. الملائكة. الجن.

وقد ورد الحديث عن الملائكة في القرآن الكريم عشرات المرات بصيغة الجمع ومرات عديدة بصيغة المفرد ـ ملك ـ.

ولعلّ أول ذكر للملائكة في السياق الزمني هو الذكر المرتبط بخلق آدم. وهذا يعني أن الله خلق الملائكة قبل أن يخلق آدم عليه السلام. يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 30].

فهذه الآية تشير بوضوح إلى أن الملائكة يسبحون الله ويقدسون له وهذه هي مهمتهم الأولى بشكل عام.

ويقول تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى

بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: 31 ـ 32].

ثم يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: 34].

وفي الآيتين 31 ـ 32 يبين القرآن الكريم محدودية علم الملائكة. فهم لا يعلمون إلا ما علمهم إياه رب العالمين.

أما الآية 34 فتدل على أن الملائكة ينفذون أمر الله دون اعتراض.

فالحديث عن الملائكة يرتبط هنا بحدث محدد وهو خلق الله لآدم. ولو راجعنا نصوص سفر التكوين التوراتي الذي تحدث عن خلق الإنسان لما وجدنا أي ذكر لهذا الحدث ولا أي ذكر للملائكة.

ففي اليوم السادس يخلق الله الإنسان بعد أن خلق السماوات والأرض والوحوش والنبات.

تقول التوراة: وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) تكوين1: 26

وعن تعليم الله لآدم الأسماء تقول التوراة: (وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء وأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها. وكل ما دعا به آدم ذات نفس حية فهو اسمها. فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية) تكوين 2: 19ـ 20.

ونلاحظ أن لا وجود للملائكة في عالم خلق الله. وقد اعتبرت أن آدم أول مخلوق يتحدث أو يعقل. وهذا يدل على أن كتبة التوراة يتجاهلون خلق الملائكة ويعتبرون أن الإنسان الأول آدم العاقل هو الأساس في المخلوقات الحية العاقلة. وقد نضع هنا سؤالا استفهاميا حول ذلك التجاهل. لماذا التجاهل؟ ما أسبابه؟ ما غاياته وأهدافه؟

الملائكة والوحي

أوضحت آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى يكلف الملائكة بمهمات، كل ملك له مهمة، وجبريل عليه السلام كان مكلفا بتبليغ رسالة السماء. فهو الذي يحمل معه آيات القرآن الكريم ويلقنها لنبينا محمد ﷺ. وقد وردت بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي تشير إلى أشكال الوحي الذي ينزل على رسول الله ﷺ. يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: 97ـ 98].

ويقول تعالى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: 4].

وهذه هي المرات الثلاث التي ورد ذكر جبريل صراحة فيها. وقد وُصف الملك جبريل بعدة أوصاف في القرآن الكريم. منها الأمين. والروح القدس. والروح. والروح الأمين. يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: 192ـ195].

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 102].

ويقول تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: 2].

فجبريل أو الروح القدس أو الروح الأمين أو الروح. جميعها تطلق على جبريل عليه السلام وهو المكلف بتنزيل الرسالات وتبليغ أمر الله لأنبيائه ورسله.

إن هذا ما لا تعترف التوراة به ولا في أي موضع منها. فجبريل لم ينزل بالرسالة على أي من الأنبياء.

وقد أورد المفسرون المسلمون سبب نزول قوله تعالى: قل من كان عدوا لجبريل... فأجمعوا على أن حديثا نبويا ورد من عدة أوجه يوضح المسألة: أخرج عن ابن عباس قال: حضرت عصابة من اليهود نبي الله ﷺ فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي. قال: (سلوني عما شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني. قالوا فذلك لك. قالوا أربع خلال نسألك عنها. أخبرنا أي طعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة. وأخبرنا كيف ماء الرجل من ماء المرأة وكيف الأنثى منه والذكر. وأخبرنا كيف هذا النبي الأمي في النوم ومن وليه من الملائكة. فأخذ عليهم عهد الله لئن أخبرتكم لتتابعني. فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق. قال فأنشدكم بالذي أنزل التوراة هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا طال سقمه. فنذر نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا: اللهم نعم. فقال اللهم اشهد قال أنشدكم بالذي لا إله إلا هو هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ وأن ماء المرأة أصفر رقيق فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله. إن علا ماء الرجل كان ذكرا بإذن الله وإن علا ماء المرأة كان أنثى بإذن الله. قالوا اللهم نعم. قال اللهم اشهد. قال فأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن النبي الأمي هذا تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ قالوا نعم. قال: اللهم اشهد عليهم. قالوا أنت الآن تحدثنا من وليك من الملائكة فعندها نتابعك أو نفارقك. قال: وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه قالوا: فعندها نفارقك. لو كان وليك سواه من الملائكة لاتبعناك وصدقناك. قال: فما يمنعكم أن تصدقوه قالوا: هو عدونا فأنزل الله تعالى: من كان عدوا لجبريل ... إلى قوله كأنهم لا يعلمون. فعند ذلك باؤوا بغضب على غضب.)[1].

وفي حديث آخر أخرجه سفيان بن عيينه عن عكرمة: كان عمر يأتي يهودا يكلمهم فقالوا: إنه ليس من أصحابك أحد أكثر إتيانا إلينا منك فأخبرنا من

---

(1) السيوطي. الدر المنثور في التفسير المأثور ص 173-174.

صاحب صاحبك يأتيه بالوحي فقال: جبريل. قالوا: ذاك عدونا من الملائكة ولو أن صاحبه صاحب صاحبنا لتبعناه. فقال عمر: من صاحب صاحبكم قالوا: ميكائيل. قال وما هما. قالوا أما جبريل فينزل بالعذاب والنقمة وأما ميكائيل فينزل بالغيث والرحمة وأحدهما عدو لصاحبه. إلى آخر الحديث)[1].

واستنادا على ما جاء في حديث رسول الله ﷺ المستند على آيات القرآن الكريم ندرك أن جبريل عليه السلام ولي لكافة الأنبياء دون سواه. ولذلك تحاشت التوراة ذكر جبريل وذكر تنزيل آيات الكتب السماوية على الأنبياء. وآيات القرآن الكريم تشير لنا أن جبريل عليه السلام مكلف بمواصلة الاتصال بكافة الأنبياء، لأن كل ما يأمره الله به هو وحي يجب تبليغه تنفيذا لأمر الله عز وجل.

أورد القرآن الكريم أنه أوحى إلى نوح. ولم تتضح كيفية الوحي أهي بواسطة الملاك أم في الرؤية.

فقال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [هود: 36].

لكن التوراة تورد مرارا قولها: وقال الله لنوح. وقال الرب لنوح. وكلم الله نوحا. وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم أثمروا...) (وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا). ولم تشر إلى وحي أو إلى الطريقة التي أُوحي لنوح فيها.

وقد أشارت آيات القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه قد أوحى إلى الأنبياء. وقد خاطب القرآن الكريم الرسول محمد ﷺ بقوله:

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ

(1) السيوطي. الدر المنثور في التفسير المأثور ص 174.

ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾ [النساء : 163ـ 164].

والوحي له طرق وأساليب فما أوحاه الله لإبراهيم يختلف عما أوحاه للأسباط مثلا . والوحي بالكتاب غير الوحي بالتعاليم الشفوية . ونحن نعرف أن الله سبحانه لم ينزل كتبا على كافة الأنبياء . والوحي كما هو معلوم من خلال الآيات الكريمة تختص به الملائكة وجبريل تحديدا .

وقد يشمل الوحي تبشيرا للأنبياء أو إنذارا .

يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴾ [هود : 69].

ويقول تعالى : ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران : 39].

ويقول تعالى : ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : 42].

ويقول تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران : 45].

هذه الآيات توضح أن من مهمات الملائكة أيضا أن تبشر الأنبياء ببشارات كبرى ترتبط بالمعجزات ولا تخضع لناموس البشر أو قانون العقل الإنساني المحدود .

أما في التوراة فيظهر ملاك الرب كما تسميه التوراة لهاجر زوجة النبي إبراهيم وأم إسماعيل عليهما السلام عند عين ماء في البرية .

تقول التوراة : (فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور وقال يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين) تكوين 16 : 7ـ 8.

وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة. وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فستلدين ابنا وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك) تك 16 : 11. ثم يظهر لها ملاك الرب مرة أخرى (فنادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو) تك 21 : 17.

ويرد أيضا : (فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال هأنذا) تك 22:11.

ويرد أيضا : (ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء) تك 22 : 15

وهذا ما يدل على أن ملاك الرب أو جبريل عليه السلام كانت له مهمة البشرى والتدخل لدى الأنبياء بأمر الله سبحانه وتعالى.

وفي القرآن الكريم يرد أن الله سبحانه بشر إبراهيم بإسحق نبياً. والبشرى كما ورد في الآيات السابقة كانت بواسطة الملائكة. فهم الذين بشروا مريم وزكريا وكذلك بشروا إبراهيم عليهم السلام جميعا.

ومن مهمات الملائكة أيضا أن الله سبحانه يرسلهم لمعاقبة الأشرار من الأقوام والأفراد. وقد أورد القرآن الكريم قصة النبي لوط وقدوم الملائكة إليه ينذرونه بأنهم سيعاقبون قومه. وقد صدر أمر الله بذلك. وقد وردت قصة قوم لوط في التوراة أيضا :

تقول التوراة : وجاء الملكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالسا في باب سدوم فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض.

وتقول التوراة : ولما طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك باسم المدينة) تكوين 19 : 15.

ويقول القرآن الكريم : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود : 77].

ويقـول تعـالى : ﴿ قَالُوا يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ [هود : 81].

وتتفق نصوص التوراة مع آيات القرآن الكريم في توضيح مهمة ملائكة الله ورسله في تدمير قوم لوط ومساكنهم.

وقد وردت في القرآن الكريم إيماءات وإشارات إلى أن الملائكة موكلون من قبل الله بعقاب الضالين والكافرين من الأقوام السابقة.

ويتكفل الملائكة بأمر الله سبحانه بتبليغ الاطمئنان للمؤمنين والتبشير بالجنة جزاء على إيمانهم وإخلاصهم لعقيدتهم.

يقـول تعـالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت : 30ـ 31].

ويؤيد الله المؤمنين بإنزال ملائكته يقاتلون معهم في حربهم ضد المشركين.

يقـول تعـالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال : 9ـ 10].

ويقـول تعـالى : ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال : 12].

وللملائكة أيضا مهمة قبض الروح.

يقـول تعـالى : ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : 32].

ويقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [النحل: 28].

ويقول تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: 61].

ويقول تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة: 11].

أما في التوراة فليس هناك إشارة إلى مهمة الملائكة بقبض الأرواح. وأعتقد أن مرد ذلك يعود إلى الارتباط الضعيف بين اليهود وبين الإيمان بما بعد الموت.

ويمكن أن نستعرض نصوص التوراة جميعها التي جاءت على ذكر الملائكة بمواقف شتى فمنها أن الله بعث رئيس الملائكة ليحارب مع جيش يشوع عند أريحا (أنه رفع عينه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده فسارع يوشع إليه وقال له هل لنا أنت أم لأعدائنا فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب الآن أتيت) يشوع 13-14.

فهنا يشار إلى الملاك بأنه رئيس جند الرب أرسله الله للقتال إلى جانب يشوع.

وتقول التوراة: (وكان رجل من صدعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد فتراءى ملاك الرب للمرأة وقال لها: ها أنت عاقر لم تلدي. ولكنك تحبلين وتلدين ابنا والآن فاحذري ولا تشربي خمراً ولا مسكرا ولا تأكلي شيئاً نجساً) قضاء 13: 2 – 3

وتقول التوراة: (فتكلم دانيال مع الملك يا أيها الملك عش إلى الأبد. إلهي أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تضرني لأني وجدت بريئاً قدامه وقدامك أيضاً) دانيال: 6: 21 – 22

ويرد في التوراة إشارة إلى قوة الملائكة:

تقول التوراة: (باركوا الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه) المزمور 103: 20

تقول التوراة : (فقال منوح لملاك الرب ما اسمك حتى إذا جاء كلامك نكرمك . فقال له ملاك الرب لماذا تسأل عن اسمي وهو عجيب) قضاة ١٣ : ١٧

وتقول : (فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد في لهيب المذبح ومنوح وامرأته ينظران) قضاة ١٣ : ٢٠

وقول التوراة يدل في مضمونه على سرعة حركة الملائكة :

وتشير التوراة إلى بعض اسماء الملائكة

فجاء فيها : (ورئيس مملكة فارس وقف مقابلي واحداً وعشرين يوماً وهو ذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتي) دانيال ١٠ : ١٣ ـ ١٤

ويرد اسم الملاك ميخائيل مرة أخرى عند قول التوراة

(ولكني أخبرك المرسوم في كتاب الحق ولا أحد يتمسك معي على هؤلاء إلا ميخائيل رئيسهم) دانيال ١٠ : ٢١

ويرد أيضا أسمه في قولها :

(وفي ذلك اليوم يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت وفي ذلك الوقت ينجي شعبك كل من يوجد مكتوباً في السفر) دانيال ١٢ : ١

ويرد اسم الملاك جبرائيل في قول التوراة : وسمعت صوت إنسان بين الآي فنادى وقال يا جبرائيل فهّم هذا الرجل الرؤيا) دانيال ٨ : ١٦

والغريب في الأمر أن اسم الملاك ميخائيل (ميكائيل) واسم الملاك جبرائيل لم يردا في التوراة إلا في هذا الموقع . والغريب أيضا أنهما لم يذكرا حتى مع الأنبياء الهامين في التوراة كإبراهيم وموسى وداود باعتبار أن الملاك جبريل هو الذي ينزل الكتب من لدن الله سبحانه على هؤلاء الأنبياء المرسلين .

ويلفت النظر اعتماد التوراة على قولها إن ميكائيل رئيس الملائكة ولم يرد

ذلك في القرآن الكريم ولا يعترفون بأن جبريل هو ولي الأنبياء الذي هو الصلة بين الله وبينهم. ولكن كما أشرنا سابقاً إلى أن اليهود يكنون عداوة للملاك جبريل. ويعتمدون ميكائيل رئيسا للملائكة ووليا للأنبياء.

ويرد في التوراة اسمان يطلقهما التوراتيون على الملائكة وهما السرافيم. والكروبيم تقول التوراة: (في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس رب الجنود مجده ملءُ كل الأرض. فاهتزت أساسات العتب من صوت الصراخ وامتلأ البيت دخاناً) إشعيا 6: 1 – 3

ولا يخفي علينا التجسيد لذات الله وملائكته. فقد رأى حزقيال السيد (أي الرب) جالساً على كرسي عال مرتفع وحوله الملائكة ذوو الأجنحة. وهذا دأب التوراة بالتجسيد وبالتأثر بأساطير الشعوب القديمة التي تصنع من مخيلتها هالة ملموسة ومحسوسة حول الله ومعاونيه.

أما الكروبيم فيرد ذكرهم في عدة مواقع من التوراة.

تقول التوراة: (ثم نظرت وإذا على المقبب الذي على رأس الكروبيم شئ كحجر العقيق الأزرق كمنظر شبه عرش) حزقيال 10: 1 وفي هذا الإصحاح العاشر من سفر حزقيال، يرد وصف كامل للكروبيم. ويشطح الخيال والتجسيد بكاتب التوراة ويصف الكروبيم بأوصاف يراها المرء أمامه مجسدة. فالكروب يمد يده إلى النار التي بين الكروبيم. (هذا هو الحيوان الذي رأيته عند نهر خابور) حزقيال 10: 15

ويقول كاتب التوراة: (وخرج مجد الرب من على عتبة البيت ووقف على الكروبيم. فرفعت الكروبيم أجنحتها وصعدت عن الأرض قدام عيني) حزقيال 10: 18

ثم يقول: (هذا هو الحيوان الذي رأيته تحت إله إسرائيل عند نهر خابور) حزقيال 10: 20

ونستشف من هذا الكلام تجسيداً لذات الله وملائكته أن الله يركب على حيوان ملائكي له أربعة وجوه وله أجنحة يطير من الأرض إلى السماء وهو يحمل الله على ظهره.

ويرى كتاب قاموس الكتاب المقدس أن كروبيم جمع كروب. وهم ملائكة يرسلون من قبل الله أو يقيمون في حضرته تعالى كما أقامهم الله على أبواب جنة عدن عندما طرد آدم وحواء منها.

تقول التوراة: (فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة) تكوين 3: 13 ويقال عنهم إنهم ذوو أجنحة. أما أشباههم فكانت من ذهب وأوقفت على غطاء تابوت العهد وقد ورد ذلك في سفر الخروج 25: 18 و19 وسفر أخبار الملوك الثاني 3: 10ـ 13. وكان جناحا الكروبيم يظللان التابوت. وجاء في المزمور 18: 10 أن الملك داود قال إن الله ركب على كروب لما ظهر بمجده على الأرض. وكما رأينا كانت الكروبيم تحت عرش الله لما ظهر لحزقيال. وكان في هيكل سليمان كروبان كبيران مغشّيان بالذهب يظلل جناحاهما التابوت الذي كان بينهما وبين قدس الأقداس. وحيطان البيت كانت منقوشة بكروبيم مع نخيل. وكذلك مصراعا الباب كانا منقوشين بكروبيم. ملوك 6: 27ـ 29

وكان وجود الكروبين فوق التابوت لتظليل مجد الله عن الناظر. حزقيال 19: 9 و16 و24[1].

وقد خلطت التوراة أعمال الله بأعمال الملائكة أحياناً، وأحياناً أخرى خلطت أعمال الملائكة والله بأعمال الشيطان. ووقع كتّاب التوراة في خطأ قاتل

---

(1) قاموس الكتاب المقدس 1. حرف الدال 358ـ 359. حرف الكاف ص 779. حرف الحاء ص 302ـ 303.

حين وصفوا الله بأوصاف الملائكة ووصفوا الملائكة بأوصاف الله عز وجل .

ومن الاختلاطات التي وقعت فيها التوراة بين ذات الله والملائكة ما ورد في سفر التكوين حين وصفوا الملائكة بأبناء الله .

تقول التوراة : وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسناوات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد) تكوين 6 : 1ـ 3 .

ومن الاختلاطات الواضحة ما حدث في قصة النبي إبراهيم عليه السلام . تقول التوراة : وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت النهار فرفع عينيه ونظر فإذا ثلاثة رجال واقفون لديه . فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض) تكوين 18 : 1ـ 2 . ويقول قاموس الكتاب المقدس (ويظهر أن الرب كان واحدا منهم .)[1] .

ومن الاختلاطات أيضا ما يخلطون به عمل الملائكة بالشيطان والإنسان .

والمراجع لسفر صموئيل الثاني يرى أن بعض الصفات الملتزمة للملائكة تلصق بالإنسان ، أو إلى أناس . وبعض الأعمال الخاصة للملائكة تنسب إلى بشر وليس إلى أرواح سماوية . وقد رد القرآن الكريم على من زعموا أن لله بنات أو أولادا في آيات قرآنية كثيرة .

يقول تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴾ [الزخرف : 16] .

ويقول تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَـٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام : 100] .

ويقول تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَـٰتِ سُبْحَـٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل : 57] .

---

(1) قاموس الكتاب المقدس ص 921 باب الجيم .

وجاءت هذه الآيات رداً على مَن زعم أن الملائكة أبناء وبنات الله. وعندما تنسب التوراة لله بنين فإنها بذلك تكفر بأبسط قواعد الإيمان.

وفي سفر أخنوخ الذي لم يدوّن في التوراة حديث طويل عن الملائكة.

وقد جاء فيه أن الأرض أخذت تنتحب وامتلأت بصيحات الأسى فآثرت الأم الأرض في أربعة من الملائكة الأصدقاء الذين طلبوا من يهوه وضع حد لتلك المهزلة وفي الوقت نفسه نشأ نزاع بين السيد أزازيل وهو ملاك متزوج من فتاة أنسية والأمير سيميازاس. فتلقى هذا الأخير بضع لكمات على فكيه، فقد منصبه على إثرها وحل أزازيل زعيماً بدلاً منه فأرسل يهوه رفائيل ليقضي على أزازيل وحاصره في أحد الكهوف.[1]

ودرجات الملائكة عند اليهود عشر درجات 1ـ كادوشيم أو المقدسون الطاهرون. 2ـ أفاميم أو السريعون. 3ـ أوراليم أو الأقوياء. 4ـ شاسماليم أو المتوهجون. 5ـ سيرافيم أو الشرارات. 6ـ مالافيم أو الرسل. 7ـ آلوهيم أو الإلهيون. 8ـ بن آلوهيم أو أبناء الله. 9ـ كيروبيم أو الثيران. 10ـ إيشم أو المتحمسون[2].

عالم الجن بين التوراة والقرآن

يأخذ عالم الجن والشياطين مساحة واسعة من القرآن الكريم. فهو مخلوق من مخلوقات الله سبحانه. أشار القرآن بوضوح، أنه خُلق من مارج من نار. وأفاضت آيات القرآن الكريم في الحديث عن الجن بأنهم أقوام مثلنا، وفيهم الصالح وفيهم الكافر وقد جاء في التوراة أيضاً بعض الأحاديث عنهم وعن العرّافين والعرّافات الذين استعانوا بهم ظناً منهم أن لهم قدرات خارقة.

أما إبليس فقد أخذ الحديث عنه مساحات واسعة. واقترن اسمه بالشيطان

---

(1) ليوتاكسل: التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير. ترجمة د. حسان اسحق ص59.
(2) المصدر السابق، أعلاه ص 60.

الذي يضل الناس ويعيث في الأرض فساداً.

ومنذ الحضارات الأولى تبرز صفات الشيطان على أنه يمثل الشر المطلق. ودراسة الشيطان إنما هي العودة إلى تاريخ الأخلاق وتاريخ الإنسانية وأن من الممكن استخلاص تاريخ الأخلاق الإنساني من تاريخ الشيطان[1].

كيف تحدث القرآن عن الجن ؟

لو عدنا إلى تسلسل الأحداث الزمنية في القرآن الكريم وجدنا أن الحديث عن الجن سبق الحديث عن آدم والبشر. وقصة الخلق الأولى الواردة في القرآن الكريم توضح أن الله سبحانه أمر الملائكة بالسجود احتراماً لآدم الذي خلقه رب العالمين فسجدوا إلا إبليس كان من الجن.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: 50]. وهذا يدل على أن الله سبحانه خلق الجن قبل أن يخلق آدم.

وفي التكوين التوراتي لا ورود لكلمة جن أو إبليس أو الشيطان وقد رمز كتاب التوراة إلى إبليس بالحية التي أغوت حواء فأكلت هي وزوجها من شجرة الخلد. تقول التوراة: (وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة فقالت المرأة للحية من ثمر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا. فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكم وتكونان كالله عارفين الخير والشر) سفر التكوين 3: 1 ـ 6. وهذه إشارة إلى سير سنن الأقدمين الذين كانوا يوحدون بين الضرر الحسي وبين الخطيئة الأخلاقية. وقبل أن تصبح الحية مجرد رمز إلى الشيطان نلاحظ فيه المشابهة بين

---

(1) عباس محمود العقاد. إبليس ص 6.

نفث السم ونفث الشر على أسلوب المجاز[1].

وقبل أن نتعرض لدراسة ظاهرة الشيطان في القرآن الكريم والتوراة نعود إلى مسألة الجن وعلاقتها بالعقيدة. وكيف جاء الحديث عنها في القرآن الكريم والتوراة. فالجن كما ورد في آيات القرآن الكريم مخلوق من مخلوقات الله. والإيمان بوجوده هو إيمان بما قاله الله سبحانه وتعالى.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن غاية الله من خلقه للجن والإنس هي عبادته.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: 56].

وقد أشار القرآن الكريم إلى أن الله بعث رسلا إلى الإنس والجن.

يقول تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴾ [الأنعام: 130].

فالجن والإنس سواء في التكليف وسواء في الحساب. لقد جاءتهم رسلهم تبلغهم رسالة التوحيد فكفروا، فحق عليهم العذاب.

وفي السياق نفسه تورد الآيات القرآنية بما سيؤول إليه الجن والإنس بسبب كفرهم وانحرافهم.

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: 179].

وتوضح آيات القرآن الكريم عجز الجن عن التنبؤ بالغيب. ومحدودية قوتهم أمام قوة الخالق عز وجل.

---

(1) عباس محمود العقاد. إبليس ص 94.

يقـــول تعـــالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ : 14].

وفي سورة الجن تحدد الآيات الكريمة صفات للجن .

لقد استمعوا لآيات القرآن الكريم فآمن بعضهم .

وقد استعان بهم بعض الإنس فزادوهم رهقا وتعبا .

وأن الجن حاولوا اختراق الفضاء لاستراق السمع فوجدوها ملئت حرساً شديداً من الملائكة .

واعترفوا أنهم لا يعرفون من أسرار السماء شيئا .

يقـــول تعـــالى : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن : 8].

ويقول تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن : 10].

وقد تحدى الله سبحانه الإنس وتحدى الجن في أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : 88] وتناولت آيات القرآن الكريم العلاقة بين الجن والإنس في الخروج عن تعاليم الله عز وجل ونشر الفساد والشر ومن ثم عاقبتهم جميعا بما كانوا يعملون .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام : 128].

ويوضح مرة أخرى عاقبتهم لما فعلوه من إضلال بعضهم.

يقول تعالى: ﴿ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 38]. فالآيات جميعها التي وردت آنفا تشير بوضوح إلى أن الجن مخلوق، وأن فيهم رسلا يبلغون عقيدة التوحيد. فمنهم الصالحون المؤمنون ومنهم الكافرون. وسيحاسبون يوم القيامة ويعذب الكافرين منهم. وهم عاجزون أمام قدرة الله وعاجزون عن استشراف الغيب. ومساعدة غيرهم من الإنس الذين يستعينون بهم.

أما قصة الجن في التوراة فتختلف اختلافا كليا عما ورد في القرآن. ففي سفر التكوين لا وجود ولو لإشارة توحي بأن الله خلق الجن من مارج من نار. ولا ترد قصة سجود الملائكة لآدم وتمرد إبليس الجني على أمر الله.

وليس هناك إشارة إلى أن الجن أقوام وشعوب مثل الأنس، ثم لا يرد أنهم مكلفون بالإيمان وأن فيهم رسلا يدعونهم إلى عقيدة التوحيد. ثم لا وجود لذكر حسابهم في يوم الدين.

وقد أوردت التوراة قصة عن استعانة الملك شاؤل بامرأة عرافة تستعين بالجن تقول: (فقال شاؤل لعبيده فتشوا لي عن امرأة صاحبة جان فأذهب إليها وأسألها فقال له عبيده هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور. فتنكر شاؤل ولبس ثيابا أخرى فذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلا وقال اعرفي لي بالجان واصعدي لي من أقول لك فقالت له المرأة هوذا أنت تعلم ما فعل شاؤل كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض فَلِمَ إذاً تضع شِرْكاً لنفسي لتميتها. . .) صموئيل أول 28: 47.

وقد جاء في التوراة حكم بالقتل على من كان به جان.

فتقول: (وإذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل. بالحجارة

يرجمونه دمه عليه) لاويين 20 : 27.

وجاءت توصيات من الرب لموسى عليه السلام تحذره بأن لا يكون في قومه من يستعين بالجان (ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى) تثنية 18 : 11.

إبليس في التوراة والقرآن

إبليس في القرآن الكريم اسم لجني معروف بعصيانه أمر الله سبحانه بالسجود لآدم، وقد جاءت آيات القرآن الكريم موضحة القصة بتفاصيلها في عدة سور قرآنية، ومن خلال سياقها نعرف أن إبليس خلق قبل خلق آدم. إذ أنه والملائكة كانوا مخلوقين، حاورهم رب العالمين في قصة خلق لآدم. وهذا يعني أن الجن مخلوق قبل آدم وإبليس من صنف الجن.

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : 34].

وقد ورد ذكر إبليس في القرآن الكريم إحدى عشر مرة، تسع مرات ارتبطت بمسألة السجود واثنتين لم ترتبطا، إنما ارتبطتا بعالم الغيب قبل خلق الإنسان.

يقول تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : 30ـ 31].

ويقول تعالى: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [ص : 73ـ 74].

ويقول تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : 32].

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ [طه : 116].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف: 11].

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: 61].

ويقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۖ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف: 50].

ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ: 20].

ويقول تعالى: ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [الشعراء: 95]، وسبقها قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [الشعراء: 92- 95].

ولو دققنا في سياق الآيات لوجدنا أن إيراد لفظة إبليس في هذا السياق لم تأت عبثاً. والواضح فإن إبليس كان عابداً لله موحداً، وقد حضر مع الملائكة عندما أبلغهم الله عز وجل أنه سيخلق خليفة له في الأرض. وأمره بالسجود له فسجدوا إلا إبليس. فإبليس قبل هذه المسألة لم يكن من الرافضين لوحدانية الله وأوامره بل كان من المقربين. وطالما أن الأمر متعلق بأمر غيبي لم يكن البشر مخلوقين فإن لفظة إبليس هي المناسبة لهذا المقام. إذ لم يحصل الصراع بين الشر والخير بعد. حتى يطلق على إبليس اسم الشيطان. فإبليس هو الاسم الذي أطلقه الله على هذا المخلوق عندما كانت الوقائع تجري في السماء ولم يكن بشر بعد في الأرض، والآية التي تشير إلى جنود إبليس توضح أن جنوده هم من اتبعوه من الشياطين والإنس. وقد تحدث الله سبحانه عن ذلك في سياق يوم الآخرة، والحساب والعقاب فقال

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۝٩٤ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[الشعراء: 94]. أي أنهم كبكبوا في نار جهنم. والنار والجنة أمران غيبيان لم يرهما بشر رؤية العين. إذا فالحديث عن إبليس في أمر السجود أمر غيبي لم نره، والحساب والنار أيضاً أمر غيبي لا نراه. وهذا يقودنا إلى القول إن بداية إبليس غيبية ونهايته المحتومة غيبية بالنسبة لنا ثم في قوله تعالى: أتتخذونه وذريته أولياء من دوني. تشير إلى اتخاذ بعض البشر إبليس إلهاً باعتباره قوة قديمة خلقها الله قبل آدم ويزعم بعض عبدة الشيطان أن إبليس كان ذا قوة تضاهي قوة الله وإلا لما عارض ورفض إطاعة أوامره.

ونخلص من ذلك إلى أن مجيء إبليس في تسع آيات ترتبط بالغيب. أما الصراع بينه وبين الإنسان يأتي بعد مرحلة خلق آدم وغضب الله على إبليس، بعد أن رفض أمر الله. فأصبح الصراع بينه وبين الإنسان على الأرض فأطلقت عليه الآيات اسم شيطان. لأنه خرج من الجنة ومهمته الجديدة اختلفت عن مهمته وهو في عالم الغيب. لقد اقتصرت مهمته في الغيب في رفض أمر الله فحسب بينما توسعت مهمته في الأرض بعد إنزاله من السماء. وتعددت وسنرى في آيات القرآن الكريم التي جاءت على ذكر الشيطان مهمات عديدة للشيطان حتى أننا نستطيع القول إنه مثل الشر المطلق على الأرض. بل مثل أحد طرفي الصراع في الوجود الأرضي. بحيث مثل الإنسان طرفاً والشيطان مثل طرفا آخر.

وهناك أحاديث كثيرة في السنّة النبوية وفي روايات ابن عباس وغيره من الصحابة تشير إلى أن إبليس كان ذا مكانة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى. وقال بعضهم إنه كان من الملائكة واسمه عزازيل وذلك قبل أن يعصي أمر به.

ورفْضُ إبليس السجود لآدم كان أمراً مفترضاً لأنه حكم على ظاهر الأمور. فآدم مخلوق من طين وإبليس مخلوق من نار، ورأى نفسه أعلى مرتبة من آدم فرفض أمر ربه ولكنه لما تبين أن الله سبحانه نفخ في آدم من روحه أدرك أن آدم هو أفضل منه. ولكنه حق القول عليه فلم يرجع عن كفره وغيه وكبريائه، وأصبح العدو الأول لبني آدم بعد أن أصبح آدم في الأرض، وكثر نسله وبدأ

الصراع بينهم وبين إبليس ونسله من الشياطين .

إن جهل إبليس بعلم الله جعله يحكم على الأمور بظاهرها . وهذا بالطبع دليل قصور ومحدودية في قدرته لأنه مخلوق . والمخلوق مهما تفوق يظل مخلوقاً من صنع الإله .

ولم تظهر كلمة إبليس في العهد القديم (التوراة) وإنما وردت كلمة شيطان . وقد اختلط المصطلحان ببعضهما ، ورمز له بالحية في سفر التكوين . وقد أورد العهد الجديد الإنجيل شيئاً عن إبليس وعداوته لله وللإنسان والمسيح . ولهذا سندرس الشيطان وصفاته وأعماله كما وردت في القرآن الكريم والتوراة ، كما سنضيف رؤية التلمود للشيطان باعتباره شرحاً لأحبار اليهود الذين ادعوا أن التلمود من الله أوحى به للأحبار .

ورد اسم الشيطان في القرآن الكريم ستين مرة بصيغة المفرد شيطان . وثماني عشرة مرة بصيغة الجمع شياطين .

ويمكن أن نلخص صفات الشيطان وأعماله على الشكل التالي :

1ـ إنه عدو لله والإنسان .

2ـ إنه يفسد العقول والنفوس ويوسوس فيها .

3ـ وعود الشيطان كاذبة وتودي إلى التهلكة .

4ـ يزين الأمور أمام الأعين فيضل الناس .

5ـ ينهى عن الخير ويحض على فعل الشر بكل أشكاله .

6ـ يتدخل الشيطان في النفس والعقل فينسي الإنسان ذكر ربه وينسيه الأمور .

7ـ للشيطان أولياء وجنود وأتباع وحزب .

8ـ يحذر الله سبحانه من الشيطان .

9ـ يحذر الله سبحانه من عبادة الشيطان لأن ذلك كفر بالله .

10ـ هناك شياطين من الجن وآخرون من الإنس مهمتهم الإفساد بين البشر.

11ـ مصير الشيطان وأتباعه نار جهنم.

12ـ جعل الله في السماء شهباً لرد الشيطان عن سرقة أخبار السماء.

13ـ ليس للشيطان سلطان على عباد الله المؤمنين.

وأمثلة على ما قلناه نرى الآيات القرآنية الكريمة التالية.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: 27].

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: 5].

يقول تعالى: ﴿ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف: 42].

يقول تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: 120].

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: 48].

يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: 91].

يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ [الكهف: 63].

يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: 121].

يقـــول تعـــالى: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة: 19].

يقـول تعـالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: 119 – 120].

يقـــول تعـــالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: 112].

يقول تعـالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم: 68].

يقـول تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: 5].

يقـــول تعـــالى: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴾ [الجن: 8].

يقـول تعـالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: 60 ـ 65].

فمن خلال آيات القرآن الكريم ندرك أن الشيطان له مهام كثيرة، أهمها الإفساد بكل وجوهه. ولكن تبعية ذنب الإنسان التي يحمّلها للشيطان ليست سوى تبعية الإنسان نفسه. فهو يتبع الشيطان وما زين له من مفاتن. ولكن ليس للشيطان سلطان جبري قدري على الإنسان. وهو مخلوق مثله مثل الإنسان.

يقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ [الصافات: 30]. والشيطان يأمر بالكفر الإنسان فإذا ما أوقعه في الكفر تخلى عنه وتبرأ منه.

يقول تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحشر: 16].

ويقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: 22].

ويربط القرآن الكريم الجن بالسحر وآثاره الضارة السلبية على الإنسان فعلم الغيب والسحر لدى الشياطين ليس إلا خداعاً للحس وفتنة للنفس تخيل إلى المخدوع ما ليست له حقيقة قائمة في غير وهمه[1] وعندما أتى القرآن الكريم على قصة هاروت وماروت وقصة الشياطين الذين كفروا لأنهم راحوا يعلمون السحر للناس بما يضرهم فإنه فند الزعم بأن الشياطين والجن يعلمون بالغيب أو يستطيعون ضرر الناس بدون إذن الله عز وجل.

يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ

---

(1) عباس محمود العقاد. إبليس صفحة 127.

وَمَرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 102].

هذا هو الشيطان وهذه هي الشياطين كما علمناها وعلمنا أخبارها من القرآن الكريم ولكثرة الآيات الكريمة التي تحدثت عن الشياطين سبب واضح هو أن الشيطان يمثل الشر المطلق , وهو أحد طرفي الصراع في هذه الحياة الدنيا .

أما التوراة فإنها تناولت الشيطان في مواقع قليلة من أسفارها. وكما أن مفهوم الإله المطلق لم يكن واضحاً لدى بني إسرائيل، فإن مفهوم الشر والشيطان لم يكن واضحاً أيضاً، ويرى الكثيرون من الباحثين، أن مفهوم الشيطان لم يعرفه بنو إسرائيل، إلا بعد السبي البابلي بعد أن تأثروا بعقائد شعوب بابل وما بين النهرين .

وتتضح شخصية الشيطان في التوراة بشكل كبير في سفر أيوب حيث تورد أنه دخل مع أبناء الله على حضرة الله فحاوره الله حتى أسفر الحوار عن قصة امتحان العبد أيوب .

تقول التوراة: (وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً في وسطهم. فقال الرب للشيطان من أين جئت فأجاب الشيطان الرب وقال من الجولان في الأرض ومن التمشي فيها. فقال الرب للشيطان هل جعلت قلبك على عبدي أيوب لأنه ليس مثله في الأرض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر. فأجاب الشيطان الرب وقال هل مجاناً يتقي أيوب الله . . الخ) سفر أيوب 1: 6-9 .

ويستمر الحوار حسب زعم التوراة بين الله والشيطان طويلاً ويلقاه مع أبناء الله أكثر من مرة. فالشيطان في هذه القصة التوراتية حسود لا يحب الرجل التقي المستقيم ويستطيع - حسب زعم التوراة - أن يقنع الله كي يمتحن عبده أيوب .

وعلى الرغم مما في القصة من إلحاد وأسطورة وخرافة إلا أن ما يهمنا هنا الكشف عن طبيعة الشيطان كما نجدها في النص وكما تتكشف من تسليط الضوء عليها.

وقد ورد في القرآن الكريم في سورة الأنبياء حديث عن أيوب وما مسه من ضر بينما وردت في سورة (ص) أربع آيات تتحدث عنه ومنها آية يذكر الشيطان فيها.

يقول تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: 41].

وقد ورد اسم الشيطان صراحة في التوراة في قصة إحصاء داود عليه السلام للشعب.

تقول التوراة: (ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصي إسرائيل) أخبار الأيام الأول 21: 1

وكان ذكر الشيطان على الوصف لا على التسمية فجاء مرة بمعنى الخصم في القضية وجاء مرة أخرى بمعنى المقاوم في الحرب وأطلق مرة على الملك الذي تصدى لبلعام في طريقه لأنه كان بمعنى المعترض أو الضد أو الخصم المقاوم. ولم يذكر بصيغة العلم إلا حين قيل في الإصحاح 21 من سفر الأيام الأول (إنه وقف الشيطان ضد إسرائيل)[1].

وفي قصة أيوب التي ذكرناها سابقاً.

ويعلق العقاد قائلاً: (لم يشعر العبريون الأوائل بما يدعو إلى عزل الشيطان أو إسناد الشرور إليه لأنهم كانوا يتوقعون من الإله أعمالاً كأعمال الشيطان، وكان العمل الواحد عندهم ينسب تارة إلى الشيطان وتارة إلى الإله كما حدث في قصة إحصاء الشعب، على عهد داود)[2] ففي المرة الأولى كان الشيطان هو الذي أغوى داود وفي المرة الثانية كان الإله هو نفسه الذي أمر داود بإحصاء الشعب

---

(1)(2) عباس محمود العقاد. ابليس ص 94 – 95.

(حمي غضب الرب على إسرائيل فأهاج عليهم داود قائلاً امض وأحص إسرائيل ويهودا) صموئيل[1].

وللشيطان قصة طويلة في كتاب التلمود، الذي يراه اليهود أهم من كتاب التوراة فيرى التلمود أن الله خلق الشياطين يوم الجمعة، عندما خيم الغسق ولم يخلق لهم أجساداً ولا ملابس، لأن يوم السبت كان قريباً. وما كان لديه الوقت الكافي ليعمل كل ذلك. وعلى حسب رواية أخرى لم يخلق لهم أجساداً عقاباً لهم لأنهم كانوا يريدون أن يخلق الإنسان بلا جسد.

وحسب تفسير التلمود فإن الشيطان على جملة أنواع. فبعضهم مخلوق من مركب مائي وناري، وبعضهم مخلوق من الهواء، وبعضهم من الطين، أما أرواحهم فمخلوقة من مادة موجودة تحت القمر لا تصلح إلا لصنعها.

ويرى التلمود أن بعض الشياطين من نسل آدم، لأنه بعدما لعنه الله، أبى أن يجامع زوجته حواء حتى لا تلد له نسلا تعيساً، فيحضر له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا شياطين.

وجاء في التلمود أن آدم كان يأتي شيطانة مهمّة اسمها ليليت مدة 130 سنة فولد منها شياطين.

وكانت حواء لا تلد في هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين. والشياطين حسب التلمود يتناسلون ويأكلون ويشربون ويموتون.

وأمهات الشياطين المشهورات أربع، استخدمهن سليمان الحكيم بما كان له عليهن من السلطة وكان يجامعهن.

قال التلمود: (إن إحدى هؤلاء النسوة امرأة الشيطان المسمى (شماعيل) تذهب مع بناتها في مقدمة مائة وثمانين ألف شيطان بصفة رئيسة عليهم ليضروا الناس في ليلتي الخميس والسبت، وليليت السابق ذكرها، عصت آدم. فعاقبها الله

(1) عباس محمود العقاد. إبليس ص 94 ـ 95.

بموت أولادها. فهي تنظر كل يوم مائة من أولادها يموتون أمامها. ومن ذلك الحين تعهدت أن لا تقتل أحداً من الأطفال التي لها عليهم السلطة إذا تليت عليهم ثلاث أسماء من أسماء الملائكة. وهي تعوي دوماً كالكلاب ويصحبها مائة وثمانين ملكاً من الأشرار.

وتوجد شيطانة أخرى من الأربع المذكورات، دأبها الرقص دون أن تستريح وهي تصحب معها مائة وتسعاً وسبعين روحاً شريرة.

أما محل سكن الشياطين، فقال الحاخامات: (إن بعضهم يسكن في الهواء. وهم الذين يسببون الأحلام للإنسان). وبعضهم يسكن في قاع البحر وهم الذين يتسببون في خراب الأرض إذا تركوا وشأنهم وبعضهم يسكن في أجساد اليهود المتعودين على ارتكاب الخطايا.

ويرى التلمود أن اثنتين من الشيطانات تسكنان في جبال الشرق المظلمة اسمهما إذا - وإذائيل. وهما اللتان علمتا السحر لبلعام وأيوب. وكان يحكم الملك سليمان على الطيور والشياطين بواسطتهما وكانتا السبب في حضور بلقيس إليه[1].

من خلال ما تقدم نرى أن كلام التلمود هو أقرب إلى الهذيان والأسطورة. وفيه من معالم الكفر ما لا يعد ولا يحصى.

ونلاحظ أن ما عجزت التوراة عن ذكره عن الشياطين، قدمه التلمود ولكن بأسلوب خرافي أسطوري يعبق برائحة الكفر والإشراك بالله والتجني على آدم وحواء.

---

(1) يوسف نصر الله. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 62 - 63.